إلى العنف الشعبي والعصيان الجزئي المتقطع بما في ذلك حل عدد من أجهزة الإدارة المدنية والاحتلالية والإمساك عن دفع الضرائب... و(ما أن أعلنت «قوم» عن رفضها الغطس في مشروع الانتخابات البلدية والحكم الذاتي بمجمله فقد العدو أية فرصة للانتقال لمرحلة الهجوم، بل فقد «المسار السياسي» الذي يمكنه من الانتقال لمرحلة الهجوم.)[٦٧١]

وعليه، يمكن الإشارة بإيجاز للملامح الأساسية التالية لانتفاضة كانون:

١- أنها وطنية تحررية ضد الاحتلال وفظاعاته وسياساته، وإن حملت بعض الأبعاد الطبقية، ذلك أن فاعلية الطبقات الشعبية والمخيمات كانت أعلى من فاعلية الفئات الميسورة والبرجوازية، وهذا تجلى في الأصول الطبقية لشهداء الانتفاضة وجرحاها وأسراها الأمر الذي حفز الباحث ربحي قطامش على الاستخلاص أن نسبة العمّال في سجن نابلس بلغت ٦٢٪، ونسبتهم في عينة للمعتقلين الإداريين ٥٠٪، وفي عينة ثالثة في سجن غزة ٤٩٪ بينما نسبتهم من معتقلي قطاع غزة عموماً ٤٥٪ و٤٤٪ في الضفة، أما الشهداء فنسبة العمال في الضفة ٤٥٪ وفي غزة ٤٤٪)[٦٧٢]، كما تجلى البعد الطبقي في الثبات السياسي لليسار على هدف الحرية والاستقلال وتفادي الرهان على المشروع الأمريكي – الإسرائيلي، مدريد- أوسلو، وكانت بداية هذا الرهان في الداخل لقاء بيكر الأول الذي لم يقاطعه في اجتماع القدس سوى الجبهة الشعبية، ولاحقاً ناهض اليسار بمجمله وقوى وطنية أخرى مسار مدريد- أوسلو.

٢- هي شاملة جغرافياً، حيث عمّت أرجاء الأراضي المحتلة عام ٦٧ في المدن والمخيمات والأرياف، وشاملة ديموغرافياً حيث شارك الرجال، النساء، الشباب، الأطفال والجيل الأقدم، المجتمع بأسره، ولكن بفاعلية متفاوتة، إذ كلما اقتربت المناشطات من العنف الشعبي: متاريس، حجارة، زجاجات حارقة، سلاح ناري، ملاحقة عملاء، انحصرت أكثر فأكثر في القطاع الشبابي، كما أن مستوى الفعل الانتفاضي في المخيمات كان أعلى على وجه الإجمال، ليس لأن الشرارة انطلقت من مخيم جباليا ومخيم بلاطة فقط، بل لأن التضامن الجماعي في المخيمات بلغ حد أن يتحرك المخيم بأسره في التظاهرات وأيام الغضب، الشيء الذي انعكس في حجم التضحيات (ففي الشهر الأول من الانتفاضة سقط ٦٠ شهيداً بينهم ٢٨ من المخيمات، وفرض منع التجول ١٩ يوماً على مخيم جباليا فيما مكث في مخيم الجلزون ٤٢ يوماً بشكل متصل. وفي العام الأول سقط ٩٣ شهيداً في مخيمات غزة بما نسبته ٦٨٪ من مجموع شهداء القطاع

---

٦٧١) من رسالة قيادة الجبهة في الداخل لقيادة شمال الضفة/ أيلول/١٩٨٨

٦٧٢) الانتفاضة مبادرة شعبية، مرجع سابق، قطامش، ربحي (الانتفاضة بروفة تستوجب احتلال الطبقة العاملة مركز القيادة). ص ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢